ملحة الاعتقاد

لسلطان العلماء، وبائع الملوك
أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام
السُلمي
الأشعري الشافعي الشاذلي

ويليه

اعتقاد الأشعري

إصدار

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم – فلسطين

ترجمة موجزة للعلامة الجليل، سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام السلمي

اسمه ونسبه:

هو شيخ الإِسْلَام وَالْمُسْلِمين، وَأحد الأَئِمَّة الْأَعْلَام، سُلْطَان العلمَاء، إِمَام عصره بِلَا مدافعة، الْقَائِم بِالأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر فِي زَمَانه، المطلع على حقائق الشَّرِيعَة، وغوامضها، العَارِف بمقاصدها، عبد العَزِيز بن عبد السَّلَام بن أبي الْقَاسِم بن حسن بن مُحَمَّد بْن مهذب السّلمِيّ المغربي أصلًا، الدمشقي مولدًا، ثم المصري دارًا ووفاةً، والشافعي مذهبًا، يكنى بأبي محمد، وقد لقب بعدة ألقاب أشهرها: "عز الدين"، وهو اللقب الذي شاع بين الناس، وكذلك لُقِبَّ بالإمام العز، ولُقِبَّ بسلطان العلماء، لقبه بذلك العالم والإمام الجليل ابن دقيق العيد وهو أحد تلامذته، كما لقب كذلك بشيخ الإسلام.

مولده:

اتفق على أنَّه ولد – رحمه الله– في دمشق، ولكن اختلف في تحديد سنة ولادته ما بين 577هـ، وسنة 578هـ، الموافق لـ 1181ر–1182ر، والأرجح أنها سنة 577هـ، الموافق لـ 1181ر.

نشأته:

نشأ وعاش رحمه الله في أسرة فقيرة مغمورة لم يكن لها مجد ولا سلطان، ولا منصب ولا علم، حيث عاش في دمشق، وهي وقتئذ مركز هام للعلم

والمعرفة، وقبلة للعلماء والفقهاء، وخطٌّ مواجهة أماميٌّ مع الصليبيين الغزاة الذين احتلوا مدنًا وحصونًا عديدة في فلسطين وساحل بلاد الشام، كما كانت دمشق ممتلئة بنعم الله وخيراته الوفيرة من ماء عذب وزراعة، وصناعة وتجارة درَّت عليها الرزق الواسع، والخير الوفير.

انشغلت أسرته بطلب الرزق عن طلب العلم؛ إلا أن إمامنا المترجَم له كان منذ نشأته الأولى عفيفًا شريفًا، يملك نفسًا أبية، إذ لم يُعرف عنه أنه امتهن مهنة تزري بصاحبها، أو تحط من شأنه، وكان رحمه الله شابًا متدينًا، متعبدًا؛ رغم فقره وكده على رزقه، ولا أدل على ذلك من مبيته في المسجد الليالي الطوال ينتظر الصلاة؛ كي لا تفوته الجماعة، أو يغيب عن الصلاة والعبادة فيه.

وفي كنف تلك المدينة العظيمة، وفي ظل بيوت الله عز وجل؛ نشأ هذا الشاب العابد الورع التقي ليخرج لهذه الأمة عالمًا جليلًا، ومفتيًا عظيمًا.

حياته:

كما أسلفنا أن نشأة هذا العالم الفذ كانت في ظل أسرة فقيرة، وبالتالي فقد كانت حياته مليئة بالعقبات والصعوبات، يحدثنا عن حياته الإمام السبكي فيقول: "كان الشيخ عز الدين في أول أمره فقيرًا جدًا، ولم يشتغل إلا على كِبَرٍ، وسبب ذلك أنه كان يبيت في الكلاسة وهي زاوية في الجانب الشمالي من جامع دمشق، فبات بها ليلة ذات بردٍ شديد فاحتلم، فقام مسرعًا، ونزل في بِركة الكلاسة؛ فحصل له ألمٌ شديدٌ من البرد، وعاد فنام

فاحتلم ثانيًا فعاد إلى البركة؛ لأن أبواب الجامع مغلقة، وهو لا يمكنه الخروج، فطلع فأغمي عليه من شدة البرد، ثم سمع النداء في المرة الأخيرة: "يا ابن عبد السلام، أتريد العلم أم العمل؟ فقال الشيخ عزُّ الدين: "العلمَ؛ لأنه يهدي إلى العمل"، فأصبح وأخذ التنبيه فحفظه في مدة يسيرة، وأقبل على العلم فكان أعلم أهل زمانه، ومن أعبد خلق الله تعالى".

ومن يومها قصد رحمه الله ورضي الله عنه العلماء فجلس في حلقاتهم، ونهل من علومهم؛ يقول عن نفسه رحمه الله: "ما احتجت في شيء من العلوم إلى أن أكمله على الشيخ الذي أقرأه عليه، وما توسطته، حتى يقول لي: "استغنيت عني، واشتغل فيه مع نفسك"، ومع ذلك ما كنت أتركه حتى أختمه عليه".

شيوخه:

تفقه رحمه الله على كبار علماء عصره كما يقول الإمام السبكي: "تفقه على الشيخ فخر الدين ابن عساكر، وقرأ الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدي وغيره، وسمع الحديث من الحافظ أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن إسماعيل بن أبي سعد البغدادي، وعمر بن محمد بن طَبَرْزَد، وحنبل بن عبدالله الرُّصافي، والقاضي عبد الصمد بن محمد الحرستاني، وغيرهم".

طلابه:

يقول الإمام السبكي رحمه الله تعالى عن تلاميذه: "روى عنه تلامذته شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، والإمام علاء الدين أبو الحسن الباجي، والشيخ تاج الدين ابن الفركاح، والحافظ أبو محمد الدمياطي، والحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن مسدي، والعلامة أحمد أبو العباس الدشناوي، والعلامة أبو محمد هبة الله القفطي، وغيرهم".

ثباته على الحق:

وقد كان أعجوبة في الثبات على الحق، والصدع به، وسجلت لنا كتب التاريخ والسير مواقف عدة له في ذلك؛ فمن تلك المواقف الفريدة: موقفه من أمير دمشق "الصالح إسماعيل" المعروف بـ"أبي الخيش"، حيث استعان هذا الأمير: "بالفِرنج، وأعطاهم مدينة صيدا، وقلعة الشَّقيف؛ فأنكر عليه الشيخ عز الدين، وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي، فغضب السلطان منهما فخرجا إلى الديار المصرية في حدود سنة تسع وثلاثين وستمائة.

فلما مرّ الشيخ عز الدين بالكَرك تلقَّاه صاحبها؛ وسأله الإقامة عنده، فقال له: "بلدك صغيرٌ على علمي"، ثم توجه إلى القاهرة فتلقَّاه سلطانها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وأكرمه وولاه خطابة جامع عمرو بن العاصي بمصر، والقضاء بها، وبالوجه القبلي مدَّة".

ومن تلك المواقف أيضًا موقفه الذي ينقله لنا الإمام السيوطي رحمه الله فيقول: "لما تولى الشيخ عز الدين القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك؛ فعظم الخطب عندهم، واحترم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعًا، ولا شراءً، ولا نكاحًا، وتعطلت مصالحهم لذلك.

وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستثار غضبًا، فاجتمعوا وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلسًا، وننادي عليكم لبيت مال المسلمين، فرفعوا الأمر إلى السلطان؛ فبعث إليه فلم يرجع، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه، فانزعج النائب وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ، ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفي هذا.

فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى؛ وشرح له الحال، فما اكترث لذلك، وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج.

وحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله؛ فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدي إيش (أي ماذا تعمل)؟ فقال: أنادي عليكم وأبيعكم، قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه؟ قال: أنا.

فتمَّ ما أراد، ونادى على الأمراء واحدًا واحدًا، وغالى في ثمنهم؛ ولم يبيعهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه وصرفه في وجوه الخير"، ومن يومها صار العز بن عبد السلام "بائع الأمراء" بحق.

قال السيوطي في رسالته "تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي": "الشيخ عز الدين كان في أول أمره المسارعة إلى الإنكار على الصوفية، فلما حجّ الشيخ أبو الحسن الشاذلي ورجع، جاء إلى الشيخ عز الدين وأقرأه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فخضع الشيخ عز الدين لذلك ولزم مجلس الشاذلي وصار يبالغ في الثناء على الصوفية لما فهم طريقهم على وجهها وصار يحضر معهم مجالس السماع، ويرقص فيها"[1]؛ كما أخذ التصوف من شهاب الدين عمر السهروردي، وقرأ بين يديه الرسالة القشيرية؛ ويقول الإمام العز عن القطب الصوفي أبي الحسن الشاذلي: "لقد كان ذا نضج في العلم، ونضج في التفكير، وروحانية في الحديث، وشفافية في البصيرة".

ومما يذكر موقفه —رحمه الله— في واقعة الفرنج على دمياط، حيث كانوا قبل ذلك وصلوا إلى المنصورة في المراكب، واستظهروا على المسلمين، وكان الشيخ مع العسكر، وقويت الرياح؛ فلما رأى الشيخ حال المسلمين نادى بأعلى صوته مشيرًا بيده إلى الريح، "يا ريح خذيهم" عدة مرات، فعادت الريح على المراكب، فكسرتها، وكان الفتح، وغرق أكثر الفرنج، وصرخ من

(1) تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي، للإمام السيوطي، ص3-4؛ وكذا في كتاب لطائف المنن، لابن عطاء الاسكندراني، ص77.

بين يدي المسلمين صارخ "الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا سُخر له الريح".

قوته في إنكار المنكر:

قد كان الإمام العز قوَّالًا بكلمة الحق، صادعًا بها، لا تأخذه في الله لومة لائم؛ فكان ينكر المنكرات على أصحابها؛ حتى أنكر على سلاطين عصره كما تروي لنا كتب التاريخ موقفًا عظيمًا في ذلك فقد: "طلع عز الدين مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة؛ فشاهد العساكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة، وما السلطانُ فيه يوم العيد من الأبَّهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تُقبِّلُ الأرض بين يدي السلطان.

فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه: "يا أيوبُ، ما حُجَّتُك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملكَ مصر، ثم تبيح الخمور؟"، فقال: "هل جرى هذا؟"، فقال: "نعم، الحانة الفُلانية يباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة"، يناديه كذلك بأعلى صوته، والعساكر واقفون ... فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة".

ثناء العلماء عليه:

وقد أثنى العلماء عليه كثيرًا حتى قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: "بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة المذهب، مع الزهد والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلابة في الدين".

وقال عنه فخر الدين بن شاكر الكتبي رحمه الله: "شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، الشيخ عز الدين .. سمع .. وتفقه .. ودرّس وأفتى، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، وقصده الطلبة من البلاد، وتخرج به أئمة، وله الفتاوى السديدة، وكان ناسكًا ورعًا، وأمّارًا بالمعروف، نهاءً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم".

وقال عنه اليافعي اليمني رحمه الله: "سلطان العلماء، وفحل النجباء، المقَّدم في عصره على سائر الأقران، بحر العلوم والمعارف، والمعظم في البلدان، ذو التحقيق والإتقان، والعرفان والإيقان... وهو من الذين قيل فيهم: علمهم أكثر من تصانيفهم، لا من الذين عبارتهم دون درايتهم، ومرتبته في العلوم الظاهرة مع السابقين في الرعيل الأول".

وقال العلامة تاج الدين ابن السبكي في ترجمته للعز: "شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، لم ير مثل نفسه، ولا رأى من رآه مثله، عِلمْا وورعًا، وقيامًا في الحق، وشجاعة وقوة جنان، وسلاطة لسَان".

وقال المؤرخ الفقيه الأديب العماد الحنبلي رحمه الله: "عز الدين، شيخ الإسلام .. الإمام العلامة، وحيد عصره، سلطان العلماء، برع في الفقه والأصول والعربية، وفاق الأقران والأضراب، وجمع بين فنون العلم من التفسير

والحديث، والفقه واختلاف الناس ومآخذهم، وبلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد، وصنف التصانيف المفيدة".

والحديث عن العز وثناء العلماء عليه يطول، ولكن حسبنا أن أشرنا إلى ذلك، وذكرنا بهذا العَلم من أعلام هذه الأمة المباركة، وهذا أقل ما نقدمه في حق علماءنا الأجلاء.

مؤلفاته:

1. القواعد الكبرى.
2. مجاز القرآن.
3. شجرة المعارف والأحوال.
4. الدلائل المتعلقة بالملائكة والنبيين عليهم السلام والخلق أجمعين.
5. الغاية في اختصار النهاية.
6. مختصر صحيح مسلم.
7. مختصر رعاية المحاسبي.
8. الإلمام في أدلة الأحكام.
9. بيان أحوال الناس يوم القيامة.
10. بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
11. الفرق بين الإيمان والإسلام.

وعدد كبير من التصانيف والرسائل الأخرى.

وفاته:

تـوفي رحمـه الله في 10 مـن جمـادي الأولى سـنة 660هـ الموافـق لـ 2 مـايو 1262 رومية عن عمرٍ يناهز 83 عامًا.

نفعنا الله بعلومه وأفاض علينا من بركاته

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام – رحمه الله ورضي عنه وعنا به–: الحمد لله ذي العزة، والجلال، والقدرة، والكمال، والإنعام، والافضال، الواحد الأحد الفَرْدِ الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، ليس بجسمٍ مُصَوَرٍ، ولا جوهرٍ محدودٍ مُقَدَّرٍ، ولا يشبه شيئًا، ولا يشبهه شيء، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات، كان قبل أن كَوَّنَ الأكوان، ودَبَّرَ الزمان، وهو الآن على ما عليه كان، خلق الخلق وأعمالهم، وقَدَّرَ أرزاقهم وآجالهم، فكل نعمة منه فهي فضل، وكل نقمة منه فهي عدل، ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾(الأنبياء: 23)، استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده استواءً منزهًا عن المماسة والاستقرار، والتمكن والحلول والانتقال، فتعالى الله الكبير المتعال عما يقوله أهل الغيِّ والضلال، بل لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، مقهورون في قبضته، أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، مُطَّلِعٌ على هواجس الضمائر وحركات الخواطر.

حَيٌّ، مريد، سميع، بصير، عليم، قدير، مُتَكَلِّم بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ ليس بحرف ولا صوت، ولا يُتَصَوَرُ في كلامه أن يَنْقَلِبَ مِدادًا في الألواح والأوراق شَكْلًا تَرْمُقُهُ العيون والأحداق كما زعم أهل الحَشْوِ والنفاق؛ بل الكتابة من أفعال العباد، ولا يتصور في أفعالهم أن تكون قديمة، ويجب احترامها؛ لدلالتها على كلامه، كما يجب احترام أسمائه لدلالتها على ذاته، وحَقَّ لمن دل عليه،

وانتسب اليه؛ أن تُعْتَقَدَ عَظَمَتُهُ، وتُرعَى حُرْمَتُهُ، ولذلك يجب احترام الكعبة، والأنبياء، والعُبَّاد، والصُّلَحَاءِ،

أَمُــرُّ عَلَــى الدِّيَــارِ دِيَــارَ لَيْلَــى أُقَبِّــلُ ذَا الجِّــدَارِ وَذَا الجِّــدَارِ
وَمَـا حُـبُّ الدِّيَـارِ شَـغَفْنَّ قَلْبِـي وَلَكِـنْ حُـبُّ مَـنْ سَـكَنَ الدِّيَـارَ

ولمثل ذلك يُقبَل الحجر الأسود، ويَحْرُمُ على المُحْدِثِ مَسُّ المصحفِ، أَسْطُرَهُ وحواشيه التي لا كتابة فيها، وَجِلْدُهُ وخَرِيْطَتُهُ[1] التي هو فيها، فويلٌ لمن زعم أن كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد، أو رَسْمٌ من أشكال المِدَاد.

واعتقاد الأشعري رحمه الله مُشْتَمِلٌ على ما دلَّت عليه أسماءُ الله التسعة والتسعون التي سمى بها نَفْسَهُ في كتابه وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسماؤه مندرجَةٌ في أربعِ كلماتٍ، هُنَّ الباقياتُ الصالحاتُ:

الكلمة الأولى: قوله: "**سُبْحَانَ اللهُ**": ومعناها في كلام العرب التنزيه والسلب، فهي مشتملة على سَلْبِ النقص والعيب عن ذات الله وصفاته، فما كان من أسمائه سَلْبًا فهو مندرج تحت هذه الكلمة كـ "القدوس": وهو الطاهرُ من كل عيبٍ، و"السلام": وهو الذي سَلِمَ من كلِّ آفةٍ.

الكلمة الثانية: قوله: "**الحَمْدُ للهِ**": وهي مشتملة على إثبات ضُرُوبِ الكمال لذاته وصفاته، فما كان من أسمائه متضمنًا للإثباتِ: كـ "العليم"

(1) وعاء من الجلد أو نحوه يشُّد على ما فيه، وفي اصطلاح أهل العصر هو ما يرسم عليه سطح الكرة الأرضية، أو جزء منها.

و"القدير" و"السميع" و"البصير" فهو مندرج تحت الكلمة الثانية؛ فقد نفينا بقولنا: "سُبْحَانَ اللهِ" كلَّ عيبٍ عَقِلْنَاهُ وكلَّ نقصٍ فَهِمْنَاهُ وأثبتنا بـ "الحَمْدُ للهِ" كلَّ كمالٍ عَرَفْنَاهُ وكلَّ جَلالٍ أَدْرَكْنَاهُ.

ووراءَ ما نفينَاهُ وأثبتنَاهُ شأنٌ عظيمٌ قد غَاب عنا وجَهلنَاه، فنُحققه من جهةِ الإجمال بقولنا: "**اللهُ أَكْبَرُ**": وهي **الكلمة الثالثة** بمعنى أنه أَجَلُّ مما نَفَيناه وأَثْبَتْنَاهُ وذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ، كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1]؛ فما كان من أسمائه متضمنًا لمدح فوق ما عرفناه وأدركناه كالأعلى، والمتعالي، فهو مندرجٌ تحت قولنا: "**اللهُ أَكْبَرُ**".

فإذا كان في الوجود من هذا شَأْنُهُ نَفَيْنَا أن يكونَ في الوجودِ من يُشَاكِلُهُ، أو يُنَاظِرُهُ، فحققنا ذلك بقولنا: "لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ"، وهي **الكلمة الرابعة**، فإن الألوهية تَرْجِعُ إلى استحقاق العبودية، ولا يستحق العبودية إلا من اتصف بجميع ما ذكرناه، فمَا كان من أسمائِه مُتَضَمِنًا للجميع على الإجمال كالواحدِ، والأحدِ، وذي الجلالِ والإكرام؛ فهو مندرج تحت قولنا: "**لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ**"، وإنما استحق العبودية لما وَجَبَ لَهُ من أوصافِ الجلالِ، ونُعُوْتِ الكمالِ الذي لا يَصِفُهُ الواصفونَ ولا يَعُدُّهُ العَادُّونَ،

---

(1) حديث صحيح؛ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه حديث رقم (489)، والإمام مالك في موطأه حديث رقم (497)؛ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.

حُسْنُكَ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ كَالبَحْرِ حَدِّثْ عَنْهُ بِلَا حَرَجِ[1]

فسبحان من عَظُمَ شَأْنُهُ، وَعَزَّ سُلطانه، ﴿ يَسْئَلُهُ مَنْ فِيْ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(الرحمن: 29)؛ لافتقارهم إليه، ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِيْ شَأْنٍ﴾(الرحمن: 29)؛ لاقتداره عليه، له الخلق والأمر والسلطان والقهر، فالخلائق مقهورون في قبضته، ﴿ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِيْنِهِ ﴾(الزمر: 67)، ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُوْنَ ﴾(العنكبوت: 21)، فسُبحانَ الأزليِّ الذاتِ والصفاتِ، ومحيي الأموات، وجامع الرفات، العالم بما كان، وما هو آت.

ولو أدرجت الباقيات الصالحات في كلمة منها على سبيل الإجمال، وهي: "**الحَمْدُ للهِ**"؛ لاندرجت فيها، كما قال علي بن أبي طالب عليه السلام: "لَوْ شِئْتُ أَنْ أُوَقِّرَ بَعِيْرًا مِنْ قَوْلِكَ: الحَمْدُ للهِ لَفَعَلْتُ"، فإن الحمد هو الثناء، والثناء يكون بإثبات الكمال تارة، وبسلب النقص أخرى، وتارة بالاعتراف بالعجز عن دَرْكِ الإدراك، وتارة بإثبات التفرد بالكمال، والتفرد بالكمال من أعلى مراتب المدح والكمال؛ فقد اشتملت هذه الكلمة على ما ذكرناه في الباقيات الصالحات؛ لأن الألف واللام فيها؛ لاستغراق جنس المدح، والحمد مما علمناه أو جهلناه، ولا خروج للمدح عن شيء مما ذكرناه، ولا يستحق الإلهية إلا من اتصف بجميع ما قررناه، ولا يخرج عن هذا الاعتقاد مَلَكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مرسل، ولا أحدٌ من أهل الملل إلا من خذله الله فاتبع هواه،

---

(1) من أشعار ابن الرضي الفضل بن منصور الفارقي؛ انظر كتاب تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (مجلد 1: ص 138).

وعصى مولاه، أولئك قوم قد غَمَرَهُمْ ذُلُّ الحِجَابِ وطُرِدُوا عن الباب، وبَعْدُوا عن ذلك الجَنَابِ، وحُقَّ لمن حجب في الدنيا عن إجلاله ومعرفته؛ أن يُحْجَبَ في الآخرة عن إكرامه ورؤيته:

ارْضَ لِمَنْ غَابَ عَنْكَ غِيْبَتَهُ ذَاكَ ذَنْبٌ عِقَـابُهُ فِيْهِ[1]

فهذا إجمال من اعتقاد الأشعري رحمه الله تعالى واعتقاد السلف وأهل الطريقة والحقيقة نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح:

يَـعْرِفُـهُ البَـاحِـثُ مِنْ جِـنْـسِهِ وَسَـائِرُ النَّـاسِ لَـهُ مُـنْـكِرٌ[2]

وقيل:

لَقَـدْ ظَـهَرْتَ فَـلَا تَخْـفَى عَلَى أَحَـدٍ إِلَا عَلَى أَكْـمَهٍ لَا يَـعْرِفُ القَـمَرَ[3]

والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان: أحدهما: لا يتحاشى من إظهار الحشو ﴿ وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُوْنَ ﴾ (المجادلة: 18)، والآخر: يتستر بمذهب السلف؛ لسحت يأكله أو حطام يأخذه.

أَظْـهَـرُوا لِلْنَّـاسِ نُـسْـكًـا وَعَـلَى المَـنْـقُـوشِ دَارُوا[4]

(1) من أشعار أمين الدولة ابن التلميذ؛ انظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (مجلد 1: ص 248).

(2) من الأشعار المشهورة لإخوان الصفاء وخلان الوفاء.

(3) من الأشعار العربية المشهورة جدا، وكثيرة الإستخدام في كلام علماء الصوفية – رحمهم الله تعالى-.

(4) من الأشعار العربية المشهورة التي كثر استخدامها، ومنهم من غير نصها واستعملوها في وصف الدينار والدرهم وغير ذلك من متاع الدنيا.

﴿ يُرِيْدُونَ أَنْ يَأْمَنُوْكُمْ وَيَأْمَنُوْا قَوْمَهُمْ ﴾(النساء: 91)، ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه، دون التجسيم والتشبيه؛ ولذلك جميع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف، فهم كما قال القائل:

وَكُــلٌّ يَـدَعُــوْنَ وِصَــالَ لَـيْـلَى   وَلَــيْـلَى لَا تُـــقِرُ لَهُــمْ بِــذَاكَــا [1]

وكيف يُدَّعَى على السلف أنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه، أو يسكتون عند ظهور البدع ويخالفون قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾(البقرة: 42)، وقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلْنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوْنَهُ﴾(آل عمران: 187)، وقوله: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلْنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾(النحل: 44)، والعلماء ورثة الأنبياء؛ فيجب عليهم من البيان ما وجب على الأنبياء.

وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ﴾(آل عمران: 104)، ومِنْ أنكر المنكرات التجسيم والتشبيه، ومن أفضل المعروف التوحيد والتنزيه.

وإنما سكت السلف قبل ظهور البدع، فورب السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، لقد تَشَمَّرَ السلف للبدع لما ظهرت، فقمعوها أتمَّ القمع، وردعوا أهلها أشد الردع، فجاهدوا في الله حق جهاده.

(1) قيل أنها من أشعار أبي العتاهية، ولم أقع له على أثر في ديوانه؛ وورد كذلك في ديوان الصبابة لشهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي، وغالب الحق أن البيت له.

والجهاد ضربان: ضرب بالجدل والبيان، وضرب بالسيف والسنان، فليت شعري فما الفرق بين مجادلة الحشوية وغيرهم من أهل البدع!! لولا خبث في الضمائر وسوء اعتقاد في السرائر، ﴿ يَسْتَخْفُوْنَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُوْنَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُوْنَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ ﴾(النساء: 108)، وإذا سئل أحدهم عن مسألة من مسائل الحشو أَمَرَ بالسكوت عن ذلك، وإذا سئل عن غير الحشو من البدع أجاب فيه بالحق، ولولا ما انطوى عليه باطنه من التجسيم والتشبيه لأجاب في مسائل الحشو بالتوحيد والتنزيه، ولم تزل هذه الطائفة المبتدعة قد ضُرِبَتْ عليهم الذلة أينما ثقفوا، ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوْا نَارًا لِلحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِيْ الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحُبُ المُفْسِدِيْنَ ﴾ (المائدة: 64)، لا تلوح لهم فرصة إلا طاروا إليها، ولا فتنة إلا أَكَبُوا عليها، وأحمد بن حنبل وفضلاء أصحابه وسائر علماء السلف بُرَآءُ إلى الله مما نسبوه إليهم واختلقوه عليهم، وكيف يُظَنُ بأحمد بن حنبل وغيره من العلماء أن يعتقدوا أن وصف الله القديم القائم بذاته هو عين لفظ اللافظين ومداد الكاتبين مع أن وصف الله قديم وهذه الأشكال والألفاظ حادثة بضرورة العقل وصريح النقل، وقد أخبر الله تعالى عن حدوثها في ثلاثة مواضع من كتابه:

أحدها: قوله: ﴿ مَا يَأْتِيْهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِهِمْ مُحْدَثٍ ﴾(الأنبياء: 2)، جعل الآتيَّ محدثًا، فمن زعم أنه قديم فقد رد على الله سبحانه وتعالى، وإنما هذا الحادث دليل على القديم، كما أنَّا إذا كتبنا اسم الله تعالى في ورقة لم يكن

الرب القديم حَالًا في تلك الورقة، فكذلك إذا كتب الوصف القديم في شيء لم يحل الوصف المكتوب حيث حَلَتِ الكتابة.

الموضع الثاني: قوله: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُوْنَ؛ وَمَا لَا تُبْصِرُوْنَ؛ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ ﴾(الحاقة: 38-40). وقول رسول الله صفة للرسول، ووصف الحادث حادث يدل على الكلام القديم، فمن زعم أن قول الرسول قديم؛ فقد رد على رب العالمين، ولم يقتصر سبحانه وتعالى على الإخبار بذلك حتى أقسم على ذلك بأتم الأقسام، فقال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُوْنَ ﴾ ؛أي تشاهدون، ﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُوْنَ ﴾ ؛أي ما لا ترونه، فاندرج في هذا القسم ذاته وصفاته وغير ذلك من مخلوقاته.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ؛ الْجِوَارِ الْكُنَّسِ؛ وَالْلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ؛ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَسَ؛ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ ﴾(التكوير: 15-20). والعجب ممن يقول: القرآن مركبٌ من حرف وصوت، وليس في المصاحف إلا حرف مجرد لا صوت معه، إذ ليس فيه حرف مكتوب عن صوت، فإن الحرف اللفظي ليس هو الشكل الكتابي؛ ولذلك يدرك الحرف اللفظي بالآذان، ولا يشاهد بالعيان، ويشاهد الشكل الكتابي بالعيان، ولا يسمع بالآذان، ومن توقف في ذلك؛ فلا يعد من العقلاء، فضلا عن العلماء، فلا أكثر الله في المسلمين من أهل البدع والأهواء، والإضلال والإغواء.

ومن قال: بأن الوصف القديم حالٌّ في المصحف لزمه إذا احترق المصحف أن يقول: بأن وصف الله القديم احترق، سبحانه وتعالى عما

يقولون علوًا كبيرًا، ومن شأن القديم أن لا يلحقه تغير، ولا عدم؛ فإن ذلك منافٍ للقدم.

فإن زعموا أن القرآن مكتوبٌ في المصحف، غيرَ حالٍّ فيه، كما يقول الأشعري؛ فَلِمَ يلعنون الأشعري رحمه الله؟! وإن قالوا بخلاف ذلك، فـ ﴿ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِيْنًا ﴾(النساء: 50)، ﴿ وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِيْنَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوْهَهُمْ مُسْوَدَةٌ أَلَيْسَ فِيْ جَهَنَمَ مَثْوًى لَلْمُتَكَبِرِيْنَ ﴾(الزمر: 60).

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيْمٌ؛ فِيْ كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾(الواقعة: 77-78). فلا خلاف بين أئمة العربية أنه لا بد من كلمة محذوفة يتعلق بها قوله: ﴿ فِيْ كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾، ويجب القطع بأن ذلك المحذوف تقديره: مكتوب في كتاب مكنون، لما ذكرناه، وما دل عليه العقل الشاهد بالوحدانية، وبصحة الرسالة، وهو مناط التكليف بإجماع المسلمين، وإنما لم يستدل بالعقل على القوم - كفى به شاهدًا-؛ لأنهم لا يسمعون شهادته، مع أن الشرع قد عدَّل العقل، وقبل شهادته، واستدل به في مواضع من كتابه: كالاستدلال بالإنشاء على الإعادة، كقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيْهِمَا آلِهَةٌ إِلَا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾(الأنبياء: 22)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾(المؤمنون: 91)، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِيْ مَلَكُوْتِ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيءٍ ﴾ (الأعراف: 185). فيا خيبة من رد شاهدًا قبله الله، وأسقط دليلًا نصَّبه الله.

وهم يرجعون إلى المنقول؛ فلذلك استدللنا بالمنقول، وتركنا المنقول كمينًا، إن احتجنا إليه أبرزناه، وإن لم نحتج إليه أخرناه، وقد جاء في الحديث الصحيح: ﴿ من قرأ القرآن وأعربه كان له بكل حرف عشر حسنات، ومن قرأه ولم يعربه؛ فله بكل حرف حسنة ﴾[1]. لم يوجد بهذا، وإنما حديث ابن عمر عند البيهقي في الشعب" والقديم لا يكون معيبا باللحن وكاملا بالإعراب، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴾(الصافات: 39)، فإذا أخبر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّا نجزى على قراءة القرآن؛ دلَّ على أنَّه من أعمالنا، وليست أعمالنا قديمة، وإنما أُتي القوم من قبل عقولهم وجهلهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسخافة العقل، وبلادة الذهن، فإن لفظ القرآن يطلق في الشرع واللسان على الوصف القديم، ويطلق على القراءة الحادثة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾(القيامة: 17)؛ أراد بقرآنه قراءته، إذ ليس للقرآن قرآن آخر، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَبِعْ قُرْآنَهُ ﴾(القيامة: 18)؛ أي قراءته، فالقراءة غير المقروء، والقراءة حادثة، والمقروء قديم، كما أنَّا إذا ذكرنا الله عز وجل كان الذكر محدثًا، والمذكور قديمًا، فهذه نبذة من مذهب الأشعري رحمه الله،

إِذَا قَالَتْ حُذَامٌ فَصَدِقُوْهَا فَإِنَّ الصِدْقَ مَا قَالَتْ حُذَامُ [2]

(1) حديث حسن؛ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر، وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود، وله شواهد كثيرة بألفاظ دون "وأعربه".

(2) قاله لجيم بن مصعب، وحذام امرأته وهي من الجاهلية ضرب بها المثل بحدة البصر وصدق الخبر فيقال: "أبصر من حذام"؛ وقصة هذا البيت مشهورة عند العرب أن عاطس بن الجلاح الحميري صار إلى قومها في جموع فاقتتلوا، ثم رجع الحميري إلى معسكره وهرب قومها، فساروا ليلتهم ويومهم إلى الغد، ونزلوا الليلة

والكلام في هذا يطول، ولولا ما وجب على العلماء من إعزاز الدين، وإخمال المبتدعين، وما طولت به الحشوية ألسنتهم في هذا الزمان من الطعن في أعراض الموحدين، والإزراء على كلام المنزّهين، لما أطلت النفس في هذا مع إيضاحه، ولكن قد أمرنا الله بالجهاد في نصرة دينه، إلا أن سلاح العالم علمه ولسانه، كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه، فكما لا يجوز للملوك إغماد أسلحتهم عن الملحدين والمشركين، لا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين، فمن ناضل عن الله، وأظهر دين الله؛ كان جديرًا أن يحرسه الله بعينه التي لا تنام، ويعزه بعزه الذي لا يضام، ويحوطه بركنه الذي لا يرام، ويحفظه من جميع الأنام ﴿ وَلَو يَشَاءُ الله لانْتَصَرَ مِنْهُمْ؛ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَّ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾(محمد: 4).

وما زال المنزهون والموحدون يفتون بذلك على رؤوس الأشهاد، في المحافل والمشاهد، ويجهرون به في المدارس والمساجد، وبدعة الحشوية كامنة خفية، لا يتمكنون من المجاهرة بها، بل يدسونها إلى جهلة العوام، وقد جهروا بها في هذا الأوان.

فنسأل الله تعالى أن يعجِّلَ بإخمالها كعادته، ويقضي بإذلالها على ما سبق من سنته، وعلى طريقة المنزهين الموحدين؛ درج الخلف والسلف رضي الله عنهم أجمعين.

الثانية، فلما أصبح الحميري، ورأى جلاءهم اتبعهم، فانتبه القطا من وقع دوابهم، فمرت على قوم حذام قِطَعًا قِطَعًا، فخرجت حذام إلى قومها فقالت: ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلا لناما؛ فقال زوجها البيت، فارتحلوا حتى اعتصموا بالجبل ويئس منهم أصحاب الحميري فرجعوا.

والعجب أنهم يذمُّون الأشعري بقوله: "إن الخبز لا يشبع، والماء لا يروي، والنار لا تحرق"، وهذا كلام أنزل الله معناه في كتابه، فإن الشبع والرِّيَّ والإحراق حوداث انفرد الرب بخلقها، فلم يخلق الخبزُ الشَّبَعَ، ولم يخلق الماء الرِّيَّ، ولم تخلق النار الاحراق، وإن كانت أسبابا في ذلك، فالخالق هو المُسَبِّبُ دون السببِ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾(الأنفال: 4). نفى أن يكون رسوله خالقًا للرمي، وإن كان سببا فيه وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى؛ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾(النجم: 43-44)، فاقتطع الإضحاء والإبكاء والإماتة والاحياء عن أسبابها، وأضافها إليه، فكذلك اقتطع الأشعري رحمه الله تعالى الشبع والرِّيَّ والاحراق عن أسبابها وأضافها إلى خالقها؛ لقوله تعالى: ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ ﴾(الأنعام: 102)، وقوله: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ ﴾(فاطر: 3)، ﴿ بَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يُحِيْطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَا يَأْتِهِمْ تَأْوِيْلُهُ ﴾(يونس: 39)، ﴿ أَكَذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيْطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(النمل: 84).

كَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيْحًا وَآفَاتُه مِنَ الفَهْمِ السَّقِيْمِ [1]

فسبحان من رضي عن قومٍ فأدناهم وسخط عن آخرين فأقصاهم، ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾(الأنبياء: 23)، وعلى الجملة ينبغي لكل عالم إذا أُذِلَّ الحقُّ، وأُخْمِل الصواب أن يبذل جهده في نصرهما، وأن يجعل نفسه

(1) من أشعار الشاعر العباسي أبي الطيب المتنبي.

بالذل والخمول أولى منهما، وإن عزَّ الحقُّ، فظهر الصواب أن يستظل بظلهما، وأن يكتفي باليسير من رشاش غيرهما.

قَلِيْـــلٌ مِنْـــكَ يَنْفَعُـــنِي وَلَكِـــنَّ   قَلِيْلَـــكَ لَا يُقَـــالُ لَـــهُ قَلِيْـــلُ [1]

والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين ولذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمر في صفوف المشركين، وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونصرة قواعد الدين بالحجج والبراهين مشروعة، فمن خشي على نفسه؛ سقط عنه الوجوب، وبقي الإستحباب، ومن قال بأن التغرير بالنفوس لا يجوز، فقد بَعُد عن الحق، ونأى عن الصواب.

وعلى الجملة فمن آثر اللهَ على نفسه آثره اللهُ، ومن طلب رضا الله بما يسخط الناس؛ رضيَّ الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن طلب رضا الناس بما يسخط الله؛ سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، وفي رضى الله كفاية عن رضى كل أحدٍ.

فَلَيْتَـــكَ تَحْـــلُو وَالحَيَـــاةُ مَرِيْـــرَةٌ   وَلَيْتَـــكَ تَرْضَـــى وَالأَنَـــامُ غِضَـــابُ [2]

وقال غيره:

فِيْ كُـــلِّ شَـــيءٍ إِذَا ضَـــيْعَتَهُ   وَلَـــيْسَ للهِ إِنْ ضَـــيْعَتَهُ عِـــوَضٌ [3]

(1) من أشعار أبي نصر أحمد الميكالي.

(2) من أشعار الشاعر العباسي أبي فراس الحمداني.

(3) من الأشعار المشهورة في القديم والحديث، ولم أقف على قائله.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: ﴿ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ؛ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ﴾ [1]، وقد جاء في حديث ﴿ ذَكِّرُوا أَنْفُسَكُمْ بِاللهِ فَإِنَّ اللهَ يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ ﴾ [2]، حتى قال بعض الأكابر: ﴿ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللهِ عِنْدَهُ ﴾ [3]، اللهم فانصر الحق، وانصر الصواب، وأبرم لهذه الأمة أمرًا رشيدًا يُعَزُّ فيه وليك، ويُذَلُّ فيه عدوك، ويُعْمَلُ فيه بطاعتك، ويُنْهَى فيه عن معصيتك.

والحمد لله الذي إليه استنادي، وعليه اعتمادي،

وهو حسبي ونعم الوكيل

وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

---

(1) حديث صحيح؛ أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس، وكذا أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب، وغيرهم.

(2) حديث صحيح؛ أخرجه الحاكم في المستدرك عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وكذا الطبراني في الأوسط، وكذا البيهقي في الشعب، وغيرهم.

(3) وهو كذلك جزء من الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين.

عقيدة الإمام الأشعري

قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وما روي عن السادة الصحابة، والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولمن خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الظلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مُقَدَمٍ، وجليل مُعظَمٍ، وكبير مُفخَمٍ، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا: أنَّا نقر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبما جاؤوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا نرد من ذلك شيئا، وأن الله عز وجل: إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو، فردٌ، صمدٌ، لم يتخذ صاحبةً، ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى، ودين الحق، وأن الجنة حقٌ، والنار حقٌ، وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله استوى على عرشه، كما قال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾(طه: 5)، وأن له سبحانه وجهًا بلا كيفٍ، كما قال: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾(الرحمن: 27)، وأن له سبحانه يدين بلا كيفٍ، كما قال سبحانه ﴿ خَلَقْتُ بِيَدِي ﴾(ص: 75)، وكما قال ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾(المائدة: 64)، وأن له عينًا بلا كيف، كما قال سبحانه ﴿ تَجْرِي

بِأَعْيُنِنَا ﴾(القمر: 14)، وأن من زعم أن اسم الله غيره؛ كان ضالًا، وأن لله علمًا، كما قال ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾(النساء: 164)، وكما قال ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَا بِعِلْمِهِ ﴾(فاطر: 11)، ونثبت أن لله قوةً كما قال ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُمْ قُوْةً ﴾(فصلت: 15)، ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة، والجهمية، والخوارج، ونقول أن كل الله غير مخلوق، وأنه سبحانه لم يخلق شيئا إلا وقد قاله له كن فيكون، كما قال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾(النحل: 40) وأنه لا يكون في الأرض شيءٌ من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله الله، ولا يستغني عن الله، ولا يقدر على الخروج من علم الله عز وجل، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله، مقدورة له، كما قال سبحانه ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُوْنَ ﴾(الصافات: 69)، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون، كما قال ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرَ اللهِ ﴾(فاطر: 3)، وكما قال ﴿ لَا يَخْلِقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾(النحل: 20)، وكما قال سبحانه ﴿ أَفَمَنْ يَخْلِقُ كَمَنْ لَا يَخْلِقُ ﴾(النحل: 17)، وكما قال ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أَمِ هُمِ الخَالِقُونَ ﴾(الطور: 35)، وهذا في كتاب الله كثير.

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته، ولطف بهم، ونظر إليهم، وأصلحهم، وهداهم، وأضل الكافرين، ولم يهدهم، ولم يلطف بهم بالإيمان، كما زعم أهل الزيغ والطغيان، ولو لطف بهم، وأصلحهم؛ لكانوا صالحين، ولو هداهم؛ لكانوا مهتدين، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِي وَمَنْ

يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾(الأعراف: 168)، وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين، ويلطف يهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين، كما عملت، وأنه خذلهم، وطبع على قلوبهم.

وأن الخير والشر بقضاء الله، وقدره، وأنَّا نؤمن بقضاء الله، وقدره: خيره وشره، وحلوه ومره، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأننا لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرا، إلا ما شاء الله، كما قال عز وجل ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾(الأعراف: 188)

وأنا نلجأ في أمورنا إلى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت؛ ونقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر.

وندين بأن الله يُرى في الآخرة بالأبصار، كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة، كما قال الله عز وجل: ﴿ كَلَا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾(المطففين: 15)، وأن موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا، وأن الله سبحانه تجلى للجبل، فجعله دَكًا، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

وندين بأن لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعموا أنهم بذلك كافرون. ونقول: إنَّ من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل: الزنا، والسرقة، وما أشبههما مستحِلًا لها غير معتقد بتحريمها كان كافرًا.

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل اسلام إيمانًا.

وندين بأن الله تعالى يُقلب القلوب ﴿وأنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ﴾[1]، و﴿أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلْ يَضَعُ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبَعٍ﴾[2]، كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير تَكْيِيفٍ.

وندين بأن لا نُنْزِلُ أحدًا من أهل التوحيد، والمتمسكين بالإيمان، جنةً، ولا نارًا، إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين.

ونقول: ﴿إن الله عز وجل يخرج من النار قومًا بعد أن امتحشوا بشفاعة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم﴾[3]، تصديقًا لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونؤمن بعذاب القبر ونقول: إنَّ الحوض، والميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق. وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين.

وأن الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، ونسلم بالروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي رواها الثقات؛ عَدْلٌ عن عَدْلٍ، حتى تنتهي الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(1) حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه (2645)، وأخرجه الترمذي في جامعه (2140)، وغيرهم.

(2) حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه (4811)، وأخرجه مسلم في صحيحه (2786)، وغيرهم.

(3) حديث حسن، أخرجه أبو داود في سننه (4691)، وغيره بشواهد أخرى.

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم، ونتولاهم أجمعين.

ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، وأن الله سبحانه وتعالي أعزَّ به الدين، وأظهره على المرتدين، وقدَّمه المسلمون للإمامة، كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وآله للصلاة[1]، وسَمَوْهُ بأجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأن الذين قتلوه قتلوه ظلمًا وعدوانًا، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلافتهم خلافة النبوة.

ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها [2].

ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونكفُّ عما شجر بينهم.

وندين بأن الأئمة الأربعة خلفاءٌ راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم.

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (678)، والإمام مسلم في صحيحه (420)، وغيرهم.

(2) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (4649) و(4650)، والإمام الترمذي في جامعه (3749)؛ بإسنادٍ صحيح.

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهلُّ النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول: ﴿ هَلْ مِنْ سَائِلٍ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ﴾[1]،وسائر ما نقلوه، وأثبتوه خلافًا لما قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا عز وجل؛ وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وإجماع المسلمين، وما كان في معناه - أي القياس-، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول: إنَّ الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًا صَفًا ﴾(الفجر: 22)، وأن الله عز وجل يقربُ من عباده كيف شاء بلا كيفٍ، كما قال تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيْدِ ﴾ (ق: 16)، وكما قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى؛ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ (النجم: 8-9).

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد خلف كلِّ بَرٍّ وفاجر، كذلك وسائر الصلوات والجماعات، كما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي خلف الحجاج.

وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافًا لقول من أنكر ذلك.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 4:16، والإمام ابن ماجه في سننه (1367)؛ بإسناد صحيح.

ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأي الخروج عليهم، إذا ظهر منهم ترك الإستقامة.

وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة.

ونقر بخروج الدجال، كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتهما المدفونين في قبورهم[2].

ونصدق بحديث المعراج ونصحح كثيرًا من الرؤيا في المنام، ونقرُّ أن لذلك تفسيرًا.

ونرى الصدقة عن موتى المسلمين، والدعاء لهم، ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك.

ونصدق بأن في الدنيا سِحرًا وسَحَرة، وأن السحر كائِنٌ موجود في الدنيا.

وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة بَرِّهِمْ وفَاجرهم وتوارثهم.

ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان.

وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل.

(1) انظر حديث أبي داود رقم (4723)، وهو حديث صحيح

(2) أخرجه البزار والطبراني. انظر كلامًا جيدًا للحافظ ابن حجر في "الفتح" 3:246، 251.

وأن الأرزاق من قِبَلِ الله عز وجل يرزقها عبادَه حلالًا وحرامًا، وأن الشيطان يوسوس للإنسان، ويشككه، ويتخبَطه خلافًا لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله عز وجل: ﴿ الَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُوْمُونَ إِلَا كَمَا يَقُوْمُ الَّذِي يَتَخَبَطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾(البقرة: 275)، وكما قال: ﴿ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ؛ الَّذِي يُوَسْوسُ فِيْ صُدُورِ النَّاسِ؛ مِنَ الجِّنَةِ وَالنَّاسِ ﴾ (الناس: 4-6)

ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عز وجل بآيات، ويظهرها عليهم.

وقولنا في أطفال المشركين: « إن الله تعالى يؤجج لهم في الآخرة نارًا، ثم يقول لهم: اقتحموها » ،كما جاءت بذلك الرواية[1].

وندين بأن الله عز وجل يعلم ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون، وما كان وما يكون، وما لا يكون أَنْ لو كان كيف كان يكون، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين.

ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة، ومجانبة أهل الأهواء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

(1) انظر صحيح البخاري حديث رقم (1881).



آل البيت - فلسطين

المركز الوطني للبحوث والدراسات

غزة - فلسطين

تلفون: 0097282820422

فاكس: 0097282820433

جوال: 00972599603197

بريد إلكتروني: info@alalbait.ps

موقع إلكتروني: www.alalbait.ps